



FEMALE
LOUD - PROUD - FEMINISTS

حملنا أمهاتنا معنا



كتابة: نادية أحمد
ترجمة: هالة الحاج

مقدمة

استدعاء نسوي

كان صباح يوم 28 كانون الثاني/ يناير
2025 غائماً مكفهرًا،

يلفحه قليل من البرد، بينما تملأ قطرات الندى على أشجار ومقاعد المدينة. كانت ساو باولو قد شهدت عاصفة مطرية شديدة في الأيام السابقة، مخلفة وراءها مدينة تبدو وكأنها جديدة وهشة في آنٍ معاً، تماماً كما كنتُ أشعر وأنا أقف وسط دائرة، محاطة بثلاثين امرأة ألقاهن للمرة الأولى أمام الفندق، الذي سيجمعنا لأيام في طقس تطهيري جماعي. .
بعضنا أتينا من مناطق نزاع، وأخريات من مجتمعات محافظة، أو عبرن المحيطات، أو اجتزن الحدود، لكننا جميعاً حملنا معنا ذكريات ونضال أجيال خلت. لم يبدأ الاجتماع بخطابات أو جلسات حوارية، بل إنطلق بإيقاد البخور، وهو طقس متجذر في تقاليد الشعوب الأصلية اللاتينية والعربية.





عبق شذا بخور الكوبال أو اللبان، لست متأكدة ما كان تحديداً، لكنه كان عبيراً مهدّئاً، فاح على شكل دخان متراقص متصاعد من مبخرة وُضعت في مركز الدائرة. كانت امرأة ترتدي ملابس تقليدية جميلة تولم البخور بحرفية ورفق. أغمضنا أعيننا وأخذنا نفساً عميقاً، نتحسّس قدسية أجسادنا، نستنشق الرائحة ونستشعر طاقة النساء اللاتي تحطن بنا.

أعادني المشهد إلى طفولتي، عندما كانت أُمي تلحق بي حاملّة "المبخرة" لتطهيري برائحة العود المحترق قبيل البدء باحتفالات العيد. لكن هذه المرة لم يكن الطقس لمناسبة العيد، بل لتطهير أرواحنا من صدمات العنف التي حملناها معنا، تطهير يسبق رحلة ستمتد لثلاثة أيام نسترجع فيها أجسادنا ونستعيد الإتصال بها. واحدة تلو الأخرى، اقتربنا من المبخرة وسمحنا لخيوط الدخان أن تنساب على أجسادنا، تلتف حول أذرعنا، تتسلل إلى شعرنا، وتتصاعد حول أرجلنا. قدّمنا أجسادنا فوق جذوة أسلافنا المتصاعدة من تلك المبخرة، واستدعينا أمهاتنا وجداتنا النسويات، واستقبلنا بكلّ رضا بركاتهنّ على بشرتنا.

لقد أصبحنا مستعدات للبدء برحلتنا.

اجتمعنا نسويات من فلسطين، والسلفادور، ولبنان، وغواتيمالا، والأردن، والمكسيك، والمغرب، وباراغواي، ومصر، وبوليفيا، والعراق، والبرازيل، وتونس، وهندوراس. لم يكن الاجتماع يهدف لمناقشة الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية فحسب، تبع طقس التطهير جولة تعارف في قاعة الاجتماع، حفّزتها عبارة بسيطة ولكنها قوية:

**قدّمي نفسك من خلال الأرض والأمهات
اللاتي أنجنكِ.**



"أنا جوستينا، من جبال
المشرق، أعيش في مجتمع
من النساء الشجاعات اللواتي
قاتلن كي أكون أنا هنا."



"اسمي إيفيت، من المكسيك. جدتي هي السبب في
وجودي هنا، رغم أنني لم ألتق بها قط، لكن أُمي ربّنتني
على كل ما علمتها إياه جدتي."



جلسنا تغمرنا الرهبة ونحن نشاهد النساء يُفرغن
حيواتهن في تلك الدائرة الواحدة تلو الأخرى، من
دون استعراض وبلا غرور. كنّا نفيض فقط بحقيقتنا.
وجاء دوري...

"أنا نادية، ابنة الصحراء وطفلة البحر. أنا هنا من أجل جدتي التي
كانت عروساً طفلة، ومن أجل ابنتي، لأنني أريد لها الحرية."

لم يكن هذا مجرد تعارف، بل تحوّل إلى بوح سياسي. ولم تكن نسويتنا نسوية نظرية وحسب، لقد نُسجت فينا كقطعة من ذواتنا ممتدّة عبر أجيال من الناجيات. ولم يكن اجتماعنا في ذلك اليوم لمجرد "تبادل أفضل الممارسات"، بل كنا هنا لنتذكّر، ونقاوم، ونعيد بناء حركة نسوية متجذّرة في جنوبنا العالمي.

لقد تعدّى هذا المنشور، " حملنا أمهاتنا معنا"، كونه تقريراً يوثّق اجتماعاً. إنّهُ زُخرفٌ سرديّ نُسج من أصوات وتجارب وصدمات وأحلام شاركتها النساء خلال لقاء التضامن النسوي: الجنوب يلاقي الجنوب في ساو باولو.

كنا برعاية مجموعتين نسويتين تتميزان بالقوة والشراسة: فيمايل وهي منظمة نسوية مقرّها لبنان، أمضت أكثر من عقد من الزمن في العمل على تفكيك النظام الأبويّ من خلال الإعلام النضالي، والمظاهرات الاحتجاجية، وتنظيم حملات تقودها الناجيات، كل ذلك في مجتمع طائفي مليء بالانقسام والتشرذم والتمييز. والمجموعة الثانية هي سوكواميس، مجموعة نسوية متجذّرة في المجتمعات الأصلية في المكسيك، و يعني اسمها "نسج الحياة" بلغة التسوتسيل، انعكاساً لالتزامهنّ بالتشافي العابر للأجيال، واستحضار ذاكرة الأسلاف، والتعليم الذي يُحدث تغييراً جذرياً. وقد قامت هاتان المجموعتان بالتعاون مع فرق أوكسفام الإقليمية في البرازيل ومنطقتي أميركا اللاتينية والكاريبي، وجنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا بخلق مساحة أخرجتنا من نطاق راحتنا أحياناً، لكنها كانت صادقة، وحقيقية، وواقعية حدّ الصميم.

كان تنظيم هذا اللقاء بحد ذاته فعل إرادة سياسية. فما بين حصار غزة، واضطرابات سوريا، وحرب لبنان، وإجراءات تأشيرة البرازيل، وواقع الرعاية والعمل غير المستقرّ، كان تواجداً في نفس القاعة شكلاً من أشكال المقاومة. بدأت الإجراءات قبل شهور، بلقاءات افتراضية وندوات عبر الإنترنت، لكن لا شيء يشبه الحضور الشخصي، وحده يسمح للتنوع والتناقضات والمشاعر التي يتطلبها التضامن الحقيقي بالظهور.

شكّلت الترجمة بين العربية والإسبانية والبرتغالية جسر تواصل وحاجزاً في آنٍ معاً. وكان اعتماد التنقّل بين ثلاث لغات خياراً نسوياً مناهضاً للاستعمار، لكنه ذكرنا أيضاً كيف أن التحوّل بلغات الشمال العالمي يحدّد القدرة على إيصال الصوت. واجهنا تحديات مرتبطة بالمواقع السياسية والاجتماعية، فلم تكن جميع المشاركات آتيات من حركات قاعدية. بعضهنّ أتين من منظمات غير حكومية، وبعضهنّ تم تجريمهنّ بسبب الإجهاد أو وقعن في قبضة الاعتقال، والبعض الآخر كنّ يتفكّرن في تأثير امتيازات خلفياتهن على السياق العام في القاعة.

ومع ذلك، شققنا عبر المواقف المطعّمة بالحرص والضحك والطقوس سبلاً للتلاقي والحوار رغم اختلافاتنا. وعلى مدار ثلاثة أيام، تشاركت 35 امرأة من 15 دولة مختلفة قصصاً عن النضال والمقاومة، ضحككن وبكين معاً، ورسمن رؤية جماعية للتغيير. لقد أتيننا من سياقات مختلفة، لكننا في النهاية اجتمعنا على لغة مشتركة من خلال نسويتنا، وأملنا العميق بعالم أكثر عدالة.



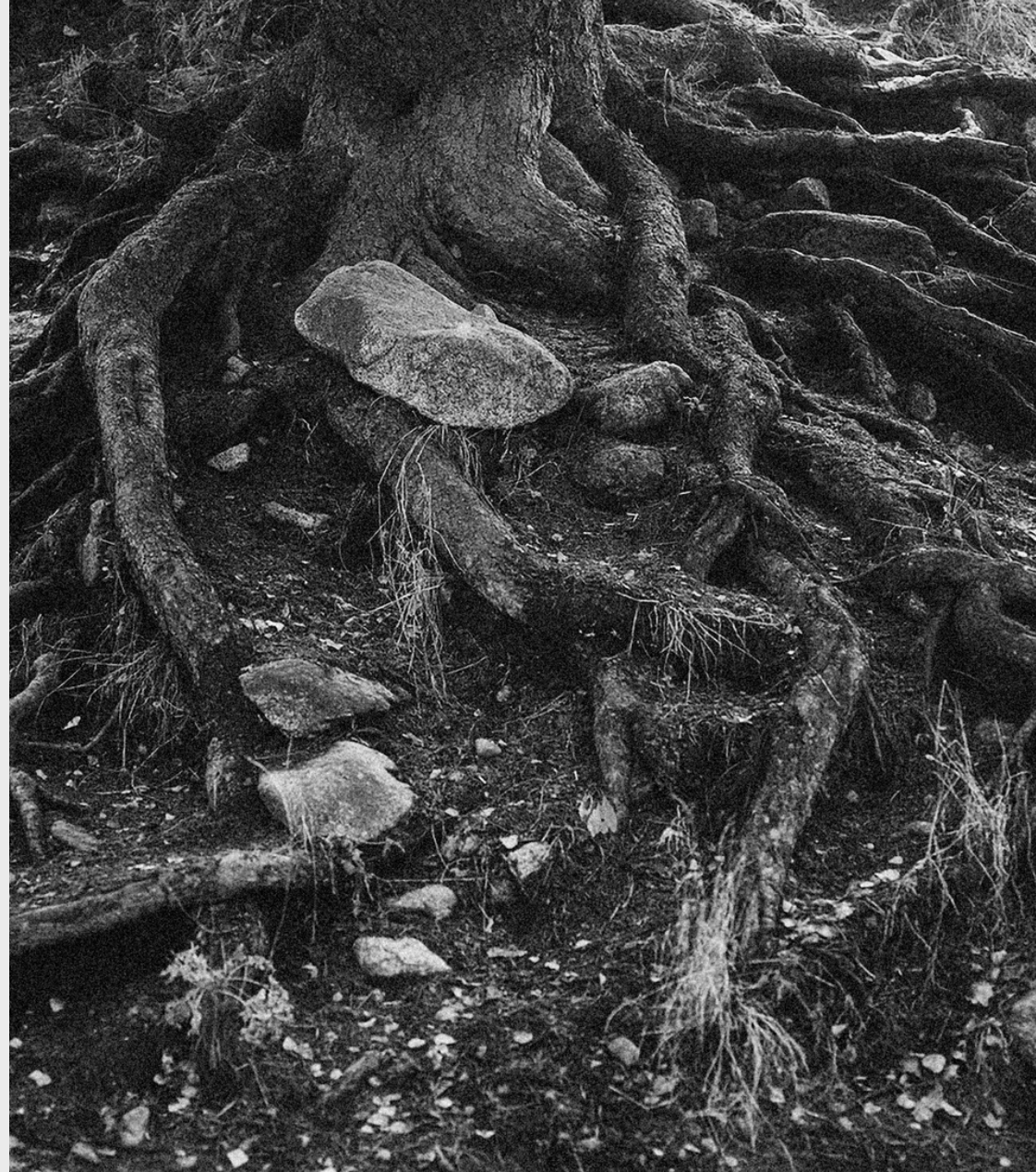
في الصفحات التالية، نتتبع مسار هذا اللقاء في عشرة أجزاء. نبدأ بـ"الجذور والمقاومة"، حيث نكشف عن الواقع الفعلي للصحة والحقوق الجنسية والإنجابية في مناطقنا، ليس فقط الجزء المحمل بالأذى، بل أيضاً الأجزاء المثقلة بالتحدي والشجاعة.

في الجزء الذي يحمل عنوان: "كثّا نزرع البذور"، نقدّم قصصاً لاستراتيجيات بدأنا نحصد ثمار نجاحاتها في مجتمعاتنا، من الشبكات الصحيّة السريّة، إلى القابلة النسويّة، فنرسم خارطة طريق لكل ما نجح حيث أخفقت الدولة. وبعدها نوسّع الإطار في الجزء المعنون: "الجغرافيا السياسية لأجسادنا"، لنقرّ بوجود القوى الأكبر مثل الاستعمار، والعسكرة، والنيوليبرالية، التي تتحكم حتى بأكثر قراراتنا حميمية. ومن هناك، نعرّج على الجزء الذي يحمل عنوان: "طقس مقاوم"، وفيه سرديّة مشرقة عن كيفية تطوّر لقائنا في ساو باولو، ليس عبر عروض الشّرح، لكن من خلال الفنّ والضحك وقرابين الأسلاف.

ثم نستكشف جزء "الشخصي سياسي كمفهوم عابر للقارات"، وفيه تأمل في كيفية انعكاس معاركنا الخاصة في تجارب بعضنا البعض، ما يحيل العزلة تضامناً. ويتعمّق هذا التضامن في الجزء المعنون: "عبر الأجيال وعبر القارات"، وفيه حوار بيني وبين أليس، ناشطة نسوية شابة من الباراغواي، فنجد نفسينا وجهاً لوجه أمام عمق الفجوة بين الأجيال، ونتخيل كيف يمكن أن يبدو الإرث النسوي. أما في جزء "المبادئ في الممارسة"، فنعبّر عن القيم التي حكمت لقاءنا، مثل مناهضة الاستعمار، والرعاية الجماعية، والعدالة اللغوية، ليس كمثليّ عليا، بل كممارسة معاشة.

ويلي ذلك جزء: "نحن نرسم الخرائط"، فنشارك فيه الأحلام التي نسجناها معاً، عن مستقبل يحمل تبادلات بين مدن شقيقة، وحوكمة جماعية للموارد، وحركة ناشطية تنمو باضطراب مع ازدياد الثقة. وأخيراً الجزء المعنون: "من لقاء إلى حركة"، وفيه نقدم خارطة طريق، وهي إن لم تكن نموذجاً جاهزاً، إلّا أنّها التزاماً قائماً بمواصلة هذا العمل حتى ما بعد ساو باولو.

هذ المنشور هو مقدمة جماعية. قصة كتبناها معاً بكلماتنا وأجسادنا وحننا وناشنا. أدعوكن للانضمام إلينا في هذه القصة، لتشعرن بقوة أختيتنا كبنات الجنوب، ولتحملن معكن نضالات أمهاتنا أيضاً.



الجدور والمقاومة

واقع الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية في مناطقنا

خلال الجلسات الافتتاحية، تناوبت المشاركات على كشف الحقائق المتعلقة بالصحة والحقوق الجنسية والإنجابية في مجتمعاتهن المحلية. على الرغم من أن مناطقنا تضم لغات وثقافات مختلفة، سرعان ما ظهرت مواضيع مشتركة. في منطقة جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، غالباً ما تواجه النساء قوانين تقييدية وأعرافاً أبوية متجذرة تحكم أجسادهن، وفي العديد من هذه الدول يكون الوصول إلى الإجهاض الآمن مقيداً للغاية أو محظوراً تماماً. وتحيط المحرمات بمواضيع مثل وسائل منع الحمل والجنس والعنف القائم على النوع الاجتماعي. وفي الوقت نفسه، واجهت الحركات النسوية في جميع أنحاء أميركا اللاتينية ومنطقة الكاريبي تحديات صعبة مماثلة، من البلدان التي لا يزال يعتبر الإجهاض فيها جريمة، إلى المجتمعات التي تكافح وباء العنف القائم على النوع الاجتماعي وقتل النساء.

استمعنا باهتمام إلى كل امرأة تتحدث، وأدركنا أن جذور اضطهادنا ومقاومتنا تحمل الكثير من القواسم المشتركة. كثيرات منا يتعاملن مع أنظمة تشكل فيها القوانين والدين والذكورية ثالوثاً غير مقدس. العنف ضد النساء متفشٍ ولا يردعه شيء. وحياة أفراد مجتمع الميم عين غائبة بشكل منهجي عن خطاب الدولة. أمّا الصحة الإنجابية فتُصوّر على أنها فشل أخلاقي. أنا أعرف هذا المجال جيداً، لقد جئت إلى هذا اللقاء من لبنان، حيث تعامل قوانين الأحوال الشخصية النساء كقاصرات محكومات بالوصاية الدائمة للرجال. وقد سُجنت أنا، كأم، بسبب حماية طفلي من أب معنّف. هناك، لا تهتم المحاكم بالعدالة بقدر ما تهتم بتأديب النساء اللواتي يجرؤن على مقاومة العنف.

جئت محمّلة بنار متّقدة تعتمر في صدري، وكذلك كان شعور النساء بجاني.

في السلفادور،

تُقَيّد الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية بشدة، وتُسيّس إلى درجة كبيرة، حيث تفرض البلاد أحد أكثر قوانين الإجهاض تطرّفاً في العالم، ويُجرّم الإجراء تحت جميع الظروف، بما في ذلك الاغتصاب، وسفاح القربى، وتهديد حياة الأم. حتّى إن النساء كنّ يُسجّن لعقود بسبب إجهاض ناتج عن طوارئ توليدية. أضف إلى ذلك أن خدمات الصحة الإنجابية محدودة للغاية، خاصّة في المناطق الريفية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض.

وعلى الصعيد الجيوسياسي، فإن التماهي مع أجنّات محافظة ودينية وسلطوية، بتأثير من سياسات مدعومة من الولايات المتحدة الأميركية وشبكات دولية مناهضة للحقوق قد زاد من وتيرة تراجع حقوق النساء.

فالناشطات النسويات في السلفادور لا يُناضلن فقط من أجل الرعاية الصحية، بل أيضاً من أجل التحرر من التجريم والرقابة اللتين تستهدفان قدرتهنّ على اتخاذ القرار.

ووصفت ليزلي شبكات من الرفيقات اللواتي يرافقن النساء الباحثات عن الإجهاض الآمن، في تجسيد للتضامن الأخيّ الذي يتواجد حتى عندما تعجز القوانين أو أنظمة الرعاية الصحية عن حماية النساء.

وقد أكدت هذه الشهادات على أن التقدم لا يزال هشاً وغير مكتمل، فمع كل تغيير في القوانين، هناك تصرّفات يجب تغييرها وخدمات يجب توفيرها على أرض الواقع.

ذكرتنا لينا من فلسطين بأن "جميع النساء الفلسطينيات اللواتي اخترن محاربة الاستعمار الاستيطاني هن السبب في وجودي هنا. لا يمكن فصل النضال النسوي عن النضال السياسي".

في فلسطين،

لا يمكن فصل النضال من أجل الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية عن السياق الأوسع للاحتلال الفاشي الإسرائيلي. تعيق نقاط التفتيش والغارات العسكرية والقيود على الحركة القدرة على الوصول إلى المستشفيات والعيادات، خاصة بالنسبة للنساء الحوامل في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويتعرض نظام الرعاية الصحية لهجمات شرسة، ولا يمكن الوصول إلى الخدمات الأساسية، بما في ذلك رعاية الأمومة، ووسائل منع الحمل، والدعم النفسي والاجتماعي. تؤثر الجغرافيا السياسية بشكل مباشر على أجساد النساء الفلسطينيات، إذ تتعرض الصحة الإنجابية للخطر بسبب عنف المستوطنين، والحرمان الاقتصادي، والتدمير المنهجي للبنية التحتية. في هذا السياق، تصبح المقاومة النسوية طبية وسياسية على حدّ سواء، فعل بقاء في مواجهة نظام استعماري استيطاني. إنّ المطالبة بالصحة والحقوق الجنسية والإنجابية في فلسطين هي مطالبة بالتحرر.

على الجانب الآخر من المحيط، تردّدت أصداء واقع مماثل لدى الأخوات في أميركا اللاتينية ومنطقة الكاريبي.

تحدّثن عن نضالات استمرت لعقود لقوينة الإجهاض ومكافحة العنف الأسري، غالباً في مواجهة ضدّ المدّ العاتي من المؤسسات الدينية واليمينية المتطرفة.

قالت ليني من السلفادور: "في بلدي، اضطررت إلى مساعدة نساء كنّ بحاجة إلى الإجهاض من خلال شبكة سرّية تعمل في الخفاء."





ويبدو أن أجساد النسويات في الجنوب العالمي في عجلة مواجهة مستمرة مع السلطة.

فالعنف الجيوسياسي، بدءاً من الاحتلال والعقوبات إلى الاقتصاديات الاستخراجية والحكم الاستبدادي، لا يقيّد حرياتنا فحسب، بل يتحكّم بقدرتنا على العيش، والإنجاب أو عدمه. في ساو باولو، لم نأت فقط بشعارات، بل جئنا بندوق، كل ندبة منها سجلّ حيّ عن اضطهاد متشابك ومعقّد.

في الأردن،

تقع قضايا الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية في قبضة شبكة معقدة من التقاليد والأعراف المحافظة والقوانين المقيّدة وأجندات التنمية التي تحدّها الجهات المانحة. ورغم أن خدمات تنظيم الأسرة متوفرة نسبياً في المناطق الحضرية، لا تزال التربية الجنسية الشاملة من المحظورات، ويُسمح بالإجهاض فقط في حال تهديد حياة المرأة. أمّا النساء اللاجئات فتواجهنّ عوائق إضافية، بدءاً من نقص الوثائق الرسمية وصولاً إلى الممارسات الصحية التمييزية.

وقد أدّى الموقع الجيوسياسي للأردن، كدولة مضيفة لموجات متتالية من النزوح، إلى قيام نظام صحي مجزّأ تتحكم فيه أولويات الجهات الدولية المانحة، مما يجعل قضايا الصحة الجنسية والإنجابية للفتيات المراهقات والفئات المهمشة غير ممولة وغير مُعالجة بشكل كافٍ. وفي هذا السياق، تُترك الناشطات النسويات في مواجهة الوصمة الاجتماعية بالإضافة إلى سياسات المساعدات الدولية.

في العراق،

خلّفت عقود من الحرب والاحتلال والنزاعات الطائفية آثاراً مدمّرة على البنية التحتية الصحية، ما أعاق وصول النساء والفتيات إلى خدمات الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية وجعله محدوداً للغاية.

وأصبحت المستشفيات العامة تعاني من نقص شديد في الموارد وغياب كبير للرعاية الإنجابية، خاصة في المناطق الريفية أو المتضرّرة بالنزاعات. ويعدّ الإجهاض في العراق جرماً، باستثناء الحالات التي تكون فيها حياة الأم معرضة للخطر. أمّا النقاشات حول المواضيع الجنسية لا تزال محفوفة بالوصم والخجل.

بالإضافة إلى ذلك، فقد أسهم وجود قوات عسكرية أجنبية والاعتماد على المساعدات الدولية في تفتيت النظام الصحي، حيث أصبحت الخدمات غير متكافئة وتتشابك مع تعقيدات الوضع السياسي.

بالنسبة للعديد من النساء العراقيات، وخاصة النساء النازحات و القادمات من مجتمع أقلّيات، لا تلعب الجغرافيا السياسية دوراً محصّوراً بالسياسة وحسب، بل تحدد ما إذا كنّ سينجّون من بعد الولادة أو سيحصلن على وسائل منع الحمل من الأساس.



في سوريا،

في سوريا، أدّت حالة انعدام الاستقرار المستمرة إلى تهجير ملايين الأشخاص وتقويض الوصول إلى الرعاية الصحية، بما في ذلك خدمات الصحة الإنجابية. كذلك ارتفعت معدلات التزويج المبكر، والعنف الجنسي، ووفيات الأمهات بشكل كبير. وتضاعف العقوبات المفروضة على الدولة من صعوبة الوضع، فتمنع وصول المساعدات واستيراد وسائل منع الحمل.



في مصر،

تخضع الحركات النسوية لمراقبة مشددة من الدولة. الإجهاض في مصر مُجرّم، باستثناء حالات نادرة، والتحرش الجنسي متفشٍّ على الرغم من الإصلاحات القانونية. وتفتقر المدارس إلى التربية الجنسية والتثقيف على الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية. بالإضافة إلى ذلك تُثني الوصمة الاجتماعية النساء عن طلب الرعاية.

في المغرب وتونس،

وعلى الرغم من اعتبارهما دولتين "تقدميتين" نسبياً في المنطقة، لا يزال الإجهاض غير قانوني في المغرب، وقانونياً بشكل جزئي فقط في تونس. وفي كلا البلدين، تفتقر النساء في المناطق الريفية والفقيرة إلى خدمات الرعاية الإنجابية. كما يواجه أفراد مجتمعات الميم عين تجريماً وتشهيراً علنياً.

**"أنا ألكسندرا... أُمي خسرت حياتها بسبب العنف الأسري.
أنا أقاتل من أجلها، ومن أجل ابنتي، ومن أجل كل امرأة تعاني."**

في لبنان،

في لبنان، أدى العدوان الصهيوني المستمر، وانهيار الاقتصاد والمؤسسات العامة، إلى تضرر القطاع الصحي، حيث خدمات الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية محكومة بفوارق بنيوية عميقة. . فبينما توفر المستشفيات الخاصة هذه الخدمات لمن تستطيع دفع كلفتها، تبقى الخدمات العامة غير ممولة بالشكل الكافي، وغير متاحة في كثير من الأحيان، خاصة للاجئات السوريات والفلسطينيات. وقد فاقمت الحرب من فقر الدورة الشهرية لدى الفتيات والنساء في جميع أنحاء البلاد، مما جعلهن أكثر عرضة للعدوى والأمراض.

أمّا الأزمات الجيوسياسية، بما في ذلك الاحتلال، والاعتماد المالي على المساعدات الخارجية، واستمرار الهيمنة الدينية على قوانين الأحوال الشخصية، فقد تركت النساء والفتيات لمصيرهن، عالقات بين فكّي الإهمال الإنساني والحكم الأبوي. وتُحرم النساء بموجب القوانين الطائفية من الوصاية، وحقوق الطلاق، والميراث. وأنا نفسي عانيت، وما زلت أعاني، من القوانين الطائفية التي لم تنصفني فيما يتعلق بحضانة ابنتي.

**"اسمي سارة... نساء الجنوب اللواتي يُقاومن العدوان
والاحتلال الصهيوني باللحم الحي... يمثلن مقاومتي."**



في المكسيك،

تقع قضايا الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية في إطار معقد، فمن جهة هناك إصلاحات قانونية تقدمية، ولكن هناك استمرار في التفاوت والتمييز من جهة أخرى.

ورغم إلغاء المحكمة العليا لتجريم الإجهاض على المستوى الفيدرالي في العام 2021، لا يزال الوصول إلى خدمات الإجهاض غير متاح في جميع أنحاء البلاد، إذ لا تزال العديد من ولايات المكسيك تعتمد قوانين مقيّدة ولا يزال نطاق خدماتها محدوداً. تواجه النساء من المجتمعات الأصلية والريفية بشكل خاص حواجز كبيرة في الحصول على خدمات الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية بسبب العزلة الجغرافية، والاختلافات اللغوية، والتمييز الممنهج. وقد ساهمت العسكرة و"الحرب على المخدرات" في زعزعة استقرار مناطق كاملة، مما أثر سلباً على الوصول إلى الرعاية الصحية، ورفع معدلات العنف القائم على النوع الاجتماعي. وتزيد العوامل الجيوسياسية، مثل نفوذ الجماعات الدينية المحافظة والسياسات الدولية مثل سياسة مكسيكو سيتي الأمريكية، من تعقيد ظروف وتوفير الرعاية الصحية الإنجابية الشاملة.

تُظهر سياسة مكسيكو سيتي بشكل خاص كيفية عمل السياسة الخارجية الأمريكية، وهي سياسة حكومية غالباً ما يشار إليها باسم "قاعدة الكمامة العالمية"، تُمنع بموجبها المنظمات غير الحكومية الأجنبية من تلقي تمويل صحي من الولايات المتحدة إذا كانت توفر وتتيح الإجهاض، أو تروّج له أو حتى تناقشه كوسيلة لتنظيم الأسرة، حتى لو فعلوا ذلك بأموالهم الخاصة غير الأمريكية. على الرغم من هذه التحديات، تواصل المجموعات النسوية والمنظمات الشعبية الدعوة إلى المساواة في الوصول إلى الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية، سعياً إلى سد الفجوة بين الحقوق القانونية والواقع المُعاش.

في هندوراس،

على غرار السلفادور، تخضع الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية لقيود شديدة بموجب أحد أكثر الأطر القانونية صرامة في العالم. الإجهاض محظور تماماً في جميع الظروف، بما في ذلك الحالات التي تشكل خطراً على حياة الأم، وهذا الحظر منصوص عليه في الدستور، مما يجعل إصلاح هذا القانون صعباً للغاية. كما أن وسائل منع الحمل الطارئة محظورة أيضاً، وتواجه النساء اللواتي يجهضن تلقائياً خطر الملاحقة الجنائية.

تؤدي هذه السياسات النساء الفقيرات، والريفات، و النساء المنحدرات من المجتمعات الأصلية بشكل أكبر من غيرهنّ، خاصّة أنّ العديد منهن يفتقرن إلى الرعاية الصحية الأساسية. وقد أدى انحياز هندوراس للقوى الدينية المحافظة واعتمادها على المساعدات الدولية إلى ترسيخ السياسات الأبوية، وتهميش حقوق النساء لصالح الإعتبارات السياسية. ورغم ذلك، تواصل الناشطات النسويات مقاومتهن، لكنهن يفعلن ذلك في سياق يتم فيه تجريم الاستقلالية الإنجابية، وغالباً ما تقابل المعارضة بقمع من الدولة.

في باراغواي وبوليفيا،

تواجه المجتمعات الأصلية والمجتمعات المنحدرة من أصل إفريقي عوائق شديدة أمام الوصول لخدمات الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية. يؤدي الافتقار إلى الخدمات المراعية للاختلافات الثقافية والفقر والتشدد الديني إلى تقييد الاستقلالية الجسدية، بالإضافة إلى تجريم الحركات النسوية بموجب قوانين "مكافحة الإرهاب".

في غواتيمالا،

تواجه النساء الأصلديات تمييزاً منهجياً في مجال الرعاية الصحية. ينتشر التعقيم القسري والافتقار إلى وسائل منع الحمل والعنف الجنسي على نطاق واسع، خاصة في المناطق الريفية والمناطق التي عانت من النزاعات.

بين عامي 2018 و2024، أنجبت أكثر من 14000 فتاة دون سن 15 عاماً، والكثيرات منهن حملن نتيجة للعنف الجنسي، الذي غالباً ما يرتكبه أحد أفراد الأسرة. على الرغم من ذلك، لا تزال العدالة بعيدة المنال، حيث لا يُدان سوى عدد قليل من المرتكبين. وتواجه الناشطات اللواتي يتحدّثن عن الموضوع تهديدات من الشركات والجهات الحكومية المرتبطة بالصناعات الاستخراجية.

في البرازيل،

وعلى الرغم من امتلاكها أحد أكبر أنظمة الصحة العامة في العالم، إلا أنها تعاني من عنصريّة وتفاوتات صحية بسبب العرق. فتعاني النساء السوداوات ونساء المجتمعات الأصلية من أعلى معدلات في وفيات الأمهات. وقد عارض المشرعون البرازيليون المحافظون حقوق الإجهاض والتربية الجنسية الشاملة.

"أنا ناي من ساو باولو... أنا المرأة الوحيدة في عائلتي التي أكملت تعليمها. آمل أن تلتقي ابنتي يوماً ما بنساء من جميع أنحاء العالم مثلما يحصل معي الآن."

مشهدنا النضالي المشترك

على الرغم من أن أنظمة القمع تتجلى بأشكال مختلفة، فقد تأخذ شكل احتلال، أو دكتاتورية، أو عنف استعماري، أو نيوليبرالية، أو أصولية دينية، إلّا أنّ النتيجة واحدة في جميع الأحوال وهي: إنكار سيادتنا على أجسادنا. وكأن هذه القوى الجيوسياسية والذكورية تنتج فسيفساء من الحقوق المجتزأة، حيث يتحدد الوصول إلى الرعاية الصحية حسب الطبقة الاجتماعية والموقع الجغرافي والانتماء السياسي. كنا نعلم أن لا حكومة ولا هيئة دولية متعددة الأطراف ستمنحنا التحرر على طبق من فضة. كان لا بد أن يتم ذلك على أيدي النساء اللواتي قاومن الحرب، وأطعن أطفالهن رغم العقوبات، وتظاهرن ضد الكارتلات، وصنعن لافتات من الحزن، ووقفن صامدات على المعابر الحدودية. لهذا السبب كان لقاءنا ضرورياً ومهماً للغاية.

كان هناك ألم دفين في هذه الشهادات، ففيها قصص عن أرواح أزهرت بسبب الإجهاد غير الآمن وعدم الحصول على خدمات الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية، وعن شابات أجبرن على الأمومة، وعن أمهات هربن من العنف المنزلي، وعن أفراد من مجتمع الميم عين حُرِّموا/ن من حقوقهم/ن الأساسية، لكنها كانت شهادات عكست أيضاً قوة عميقة. لم نتحدث كل مشاركة من موقع الضحية، بل بصفتها صانعة التغيير في سياق حياتها. بدءاً من المجتمعات الأصلية في جبال الأنديز التي تناضل من أجل الرعاية الصحية للأمهات، وصولاً إلى مخيمات اللاجئين/ات في بلاد الشام حيث تشكل النساء دوائر دعم للناجيات من العنف، كانت الرسالة واضحة: إنّ مناطقنا تعجّ وتنبض بالمقاومة. نحن امتدادٌ لعمل أمهاتنا، نواصل ناشطية كبيرات الحركة، ونستوحي الإلهام من أخواتنا وبناتنا الصغيرات، ونزرع بذور الحرية الجديدة حتى في التربة المعادية. ومن خلال مشاركة هذه الجذور والواقع مع بعضنا البعض، بدأت المجموعة ترى ملامح نضال مشترك. كان الحوار بين بلدان الجنوب مضيئاً. فما كان في السابق نضالاً منفرداً في هندوراس أو لبنان أصبح الآن يُفهم على أنه جزء من نسيج عابر للأقاليم من المقاومة النسوية. متسلحات بهذه المعرفة، كان الاجتماع جاهزاً للتعمق في أسباب استمرار هذا الواقع، وكيف تشكل القوى العالمية المعارك الشخصية التي نخوضها كل يوم.

كنا نزرع البذور:

دروس مستفادة من نضالنا من أجل الصحة
والحقوق الجنسية والإنجابية

بعد أن أرخت نقاشاتنا الافتتاحية بثقلها علينا وبعد أن وضعنا أصابعنا على مواضيع الأذى وتتبّعنا عواقب العنف، شعرنا بأنّ شيئاً ما تغيّر بداخلنا. كان علينا أن نذكّر أنفسنا بعد أن كشفنا جذور النظام الأبوي والقمع والظلم في سياقاتنا، بأننا لسنا مجرد ناجيات. نحن حاضنات المقاومة وزارعات بذورها. نحن بانيات ما يمكن بناؤه وإصلاحه. لذلك بدأنا في مشاركة ما زرعناه في أرضنا. وبدأت القصص تتوالى من كل بلد ممثل في دائرتنا. لم تكن سرديات عن أمور نظرية، بل عن تكتيكات، ولم تكن أحلاماً نطمح لتحقيقها، بل أفعالاً تتسم بالهدوء والشجاعة، تظهر في نواح عديدة تراجعت فيها الدولة وسادت مكانها المنظومة الأبوية. لم تكن أفعالنا هذه عبارة عن برامج منسّقة ومصقولة في إطار خطط عمل منظمة، لقد كانت أفعالاً للبقاء اكتسبت قداسة من ظروفها.

أتذكر أنني استمعت إلى ليزا من هندوراس تتحدث عن عمل المرافقة، وكيف تخاطر المجموعات النسوية بالسجن والاضطهاد لحماية النساء اللواتي يسعين إلى الإجهاض في بلد تحظر فيه هذه الممارسة تماماً. لم يكن في صوتها أي تفاخر، بل وضوح وتصميم.

قالت: "نحن نفعل ما يجب علينا فعله، لأن القانون لم يكتب أبداً من أجلنا."



في الباراغواي، تحدث النسويات مفهوم "المركزية العمرية"، أي إسكات أصوات الشباب/الشابات بشكل هيكلي. وقد قمن بذلك من خلال تأكيدهنّ على مشاركة الفتيات والشابات في صنع القرار في مجال الدفاع عن الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية. أمّا في البرازيل، يتم الآن تسمية وتوثيق العنف التوليدي من خلال جهود شعبية تقودها نساء سوداوات ونساء من المجتمعات الأصليّة. وفي السلفادور، تكافح محاميات شجاعات قضية تلو الأخرى من أجل تحرير النساء المسجونات بسبب حالات طوارئ توليدية، وغالباً ما يتعرضن لمخاطر شخصية كبيرة.

أكثر ما أدهشني هو مدى اعتماد هذه الاستراتيجيات على المجتمع المحلي، لا على المؤسسات. لقد خذلتنا الأنظمة الرسمية. لذا قمنا ببناء أنظمة غير رسمية أنظمة تشتدّ أواصرها عبر تطبيق الواتساب و تربطها خيوط من الثقة والذاكرة العابرة للأجيال. كان هذا هو جمال هذا اللقاء. لم يكن تدريباً، بل استعادة للذاكرة. لقد وضعنا الأدوات بين يدي بعضنا البعض، فما نجح في بيروت قد يلهم تغييراً في لا باز. وما ازدهر في سان سلفادور قد يوفر تربة جديدة لبغداد. لم نبدأ من الصفر، لقد كنا نقف على أرض خصبة.

قالت إحداهن: "نحتاج إلى خريطة لما نقوم به بالفعل".

وأ تذكر أنني فكرت في نفسي:
"هذه هي الخريطة."

في المكسيك، شاركت مشاركات من مجموعة سوكواميس كيف تلجأ للنظام المعرفي للسكان الأصليين من خلال التوليد التقليدي والتشافي الذي يقوده المجتمع النسوي، حيث يقدمن الرعاية الإنجابية وأكثر.. هنّ يرسّخن إعادة تجذير روحي وثقافي للفتيات والنساء اللواتي انقطعن عن حكمة الجدّات والأسلاف. في بوليفيا وغواتيمالا، وصفت الرفيقات كيف أصبحت البرامج الإذاعية والمجلات والجداريات أدوات للتثقيف في مجال الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية، متجاوزة الرقابة وممتّصلة بالمجتمعات النائية عبر رسائل عن الاستقلالية والمتعة والأمان.

وكم تأثّرتُ بالعمل الذي تم إنجازه في العراق، حيث شكلت طبيبات نسويات دوائر تدريب بين الأقران في مناطق ما بعد النزاع، لضمان ألا تعتمد الرعاية على المنظمات غير الحكومية الأجنبية بل أن تكون متجذرة في الشبكات المحلية. أمّا في مصر، فتُعقد جلسات التعليم الجنسي السّرية في المطابخ والمقاهي، بهدوء وحذر، ولكنها تقدّم تثقيفاً راديكالياً وعميقاً. وكذلك شاركت ناشطات فلسطينيات بدورهن أدوات رقمية مصممة لتثقيف الشباب والشبان، حول الموافقة الرضائية والحقوق الجسدية على الرغم من المراقبة والاحتلال. وتحديث امرأة من تونس عن إعادة كتابة المناهج التعليمية بمؤازرة معلمين/ات مستعدين/ات لتحدي صمت الدولة حول الجنسية.

ومن لبنان، شاركتُ كيف ساعدنا خلال الحرب مع منظمة فيمايل في توزيع صناديق أدوات النظافة الشخصية الصحية للنساء اللواتي يعانين من فقر الدورة الشهرية ونظمنا دوائر للناجيات في أماكن غابت عنها الحكومة غياباً تاماً.



سرعان ما اتسعت دائرة المحادثات لتشمل القوى المؤثرة الكبرى وبدأنا بتفكيك الجغرافيا السياسية التي تتحكم بأجسادنا. تحدثت المشاركات من كل من منطقتي أميركا اللاتينية والكاريبي ومنطقة جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا عن كيفية تأثير التاريخ والسياسة والاقتصاد بشكل مباشر على أكثر المجالات الحميمة في حياتنا. أقررنا بأن إرث الاستعمار لا يزال يتجلى في قوانيننا وبشكل أنظمتنا الحاكمة، وأن عنفه لا يزال يمزق أراضينا وأجسادنا. بالنسبة لبعضنا، وبعد عقود من الاستقلال، لا تزال دولنا تصارع هياكل سلطة فرضت من الخارج، والآن تدعمها الأبوية المحلية. أما بالنسبة لبعضنا الآخر، فإن الاحتلال والاستعمار الاستيطاني هو واقع مُعاش يؤثر في كل جانب من جوانب حياة النساء. وفي منطقة جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، تُفاقم السياسات الخارجية الغربية المصممة لتقسيمنا التحديات، كما أشارت سلمى من فلسطين.

"الاستعمار الاستيطاني لا يسلبنا أراضينا فحسب، بل يتسلل إلى منازلنا وأجسادنا، ويُملي علينا ما إذا كنا سنحصل على الرعاية الصحية والأمان والحرية وكيف ومتى يمكن أن يحصل ذلك."

ذُكرت كلماتها الجميع بأن القمع غالباً ما يتجلى بأكثر المجالات خصوصية. لقد شاهدنا كل ذلك مباشرة على هواتفنا أثناء تصفحنا اليومي المستمر للأخبار الدامية. أطفال مستهدفون برصاص القناصة، نساء حوامل يُقتلن بالرصاص في الشوارع، أمهات يندبن توأهما حديثي الولادة، اغتصاب يُبرر باعتباره سلاح حرب.

ساد جو من الكآبة بعد شهادة سلمى المؤثرة، لحظة صمت. اعتراف بالإبادة الجماعية الوحشية المستمرة.

حملت كلمات سلمى وفكرت على الفور في طفلي البالغة من العمر 4 سنوات في لبنان، والتي كنت قد نجوت معها للتو من الحرب. مرّ شريط من الصور والذكريات في ذهني. هروبنا من منزلنا في بيروت، مرضها وعدم قدرتي على الوصول إلى طبيبها أو إلى أدوية موثوقة، الحزن في عينيها عندما رأت حالة الأطفال/الطفلات النازحين/ات في الملاجئ خلال زيارتنا لتقديم المساعدة، وكيف بذل والدها قصارى جهده ليجعلنا نشعر بمزيد من عدم الأمان. في تلك اللحظة أدركت أن لدي قواسم مشتركة مع سلمى أكثر مما كنت أظن. فالحرب والاحتلال أصبحا واقعاً نعيشه أنا وابنتي أيضاً، بالإضافة إلى العنف الأسري الذي كان يحدّد كل تحركاتنا.

كان استخدام أمومتنا سلاح في وجهنا يُستعمل على نطاق ضيق وآخر واسع. وكان العنف المنزلي يعكس العنف الاستعماري في سيطرته ومراقبته وإفلاته من العقاب. وكلاهما يعززهما ويحركهما النظام الأبوي.

رجعت من شرودي إلى المحادثة لأجد نساء أميركا اللاتينية والكاريبي يعرضن أدلتهن الخاصة على العنف الاستعماري. في هندوراس، لا يُعدّ الحظر التام للإجهاض مجرد سياسة محلية، بل يتم تنفيذه من خلال الشرطة والمحاكم المتوافقة مع الأنظمة الاستبدادية، حتى أنّ بعضها مدعوم بمساعدات أمنية من الولايات المتحدة الأميركية. في غواتيمالا والسلفادور، تعمل المنظمات "المؤيدة للحياة" الممولة من الولايات المتحدة بالتعاون مع الحكومات المحلية لتقويض حقوق النساء.

في الباراغواي، تواجه النساء الأصلديات مخاطر الاستغلال الأمريكي من خلال الصناعات الاستخراجية التي تسمم مياههن وتقلص أراضيهم، مع عواقب مباشرة على صحة الأمهات والعدالة البيئية. وذكّرنا إحدى المشاركات كيف أنه كل بضع سنوات، عندما تتغير الإدارة الأمريكية، يتم منح أو حجب تمويل صحة النساء في جميع أنحاء العالم كما لو أنهم يضيئون أو يطفئون مصباحاً كهربائياً، بناءً على ما إذا كانت المنظمة تذكر الإجهاض أم لا. في المكسيك، شاركتنا زميلة نسوية كيف أن عيادة كانت تعمل بها اضطرت للإغلاق لأنها لم تمثل لتلك السياسة. وقالت:

"يريدون تكميم أفواهنا مقابل الحصول على الأدوية."

من بلد إلى آخر، تحوّلت أجسادنا إلى ساحات معارك لحروب أيديولوجية أكبر. لكن وسط هذا التحليل المؤلم، أدركنا دورنا أيضاً: فكلّما فهمنا هذه التيارات الجيوسياسية، تمكّنا من التعامل معها ومقاومتها بشكل أفضل. وكلما تعمقنا في الأمر، أدركنا أكثر فأكثر: أن ما يحدث لأجسادنا ليس مصادفةً، بل أمراً مقصوداً. إنه من بقايا الاستعمار ورأس المال العالمي والحكم الأبوي.

في بعض الأماكن، يجرمون الإجهاض.

في أماكن أخرى، يقصفون العيادات.

في بعض الأماكن، يغمروننا بالمساعدات ولكن فقط إذا أحسنّا التصرف.

في أماكن أخرى، يُخفون قادتنا.

ومع ذلك، في كل سياق، نقاوم.

"يحاولون السيطرة على أجسادنا كما يسيطرون على أراضينا، لكننا سنستعيد كليهما في كل مرّة."

أكدت ليزا بحزم خلال إحدى المناقشات. في حياتها كمنظمة نسوية، رأت كيف يمكن للتضامن أن يواجه العزلة. ووصفت كيف أن إسقاط قانون يقيد الإجهاض في دولة ما، يبعث موجات من الأمل إلى البلدان الأخرى. أتذكر قولها:

"عندما يحاولون إسكات إحدا، يجب أن نرفع أصواتنا جميعاً."

لم تكن تبالي أو تتحدث بشكل مجازي. لقد عاشت ذلك ولمسته عندما نظمت احتجاجات في هندوراس من أجل النساء المحكومات بالسجن لمدة 30 عاماً بسبب الإجهاض التلقائي، كلّ ذلك وهي تشاهد عائلتها تخذلها وتتخلى عن ناشطيّتها. لقد استوعبت ليزا سبب اجتماعنا وجوهه: الهدف من لقائنا أن نتكاتف عبر الحدود لكي يصبح الانتصار في مكان ما انتصاراً للجميع، ويقابل التهديد الموجه لإحداً بالدفاع الجماعي. نظرنا إلى بعضنا البعض، عبر الدائرة. كنا من أماكن مختلفة وخلفيات مختلفة. لكن السيطرة على أجسادنا كانت دائماً مرتبطة بشيء أكبر: السيطرة السياسية، ونهب الموارد، والتوسع الاستيطاني، وفرض الحراسة على الحدود.

إن التعقيدات الجيوسياسية ليست سطحية ولا هامشيّة. إنها مغلّة في أعماق أرحامنا.

أكدت هذه المحادثات أننا لا نستطيع النظر إلى الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية والعدالة الجندريّة بمعزل عن بعضها البعض. كل قصة شخصية تقع ضمن شبكة من السياسات وعلاقات القوة والاتجاهات العالمية. أصبح من الواضح أن تشكيل جبهة نسوية عابرة للقارات ليس مجرد طموح، بل هو أمرٌ ضروري. غادرنا هذه الجلسة بوعي متزايد بأن التحديات هائلة ومتشابكة، وكذلك تضامننا. إذا كانت القوى الأبوية والمناهضة للحقوق تنسق على الصعيد العالمي، فيجب علينا أن نفعل ذلك أيضاً. ومن هناك، أدركنا أن خطواتنا التالية، أي عملنا، يجب أن يبدأ ليس بمقترحات سياسية، بل بطقس.

**لذلك توجّهنا نحو أجسادنا.
إلى التنفس.
إلى الفن.
إلى الإيقاع.**

طقس مقاوم

اجتماع ساو باولو

منذ بدايته، صُمم اجتماع ساو باولو ليكون طقساً حياً من طقوس المقاومة. في اليوم الأول، جلسنا جميعنا على الأرض في دائرة كبيرة.

أحضرت كل امرأة معها ما تقدّمه كعربون يدلّ على وطنها: أعشاب، وتوابل، ووصفات عائلية، وأقمشة تقليدية، وشموع، وصور فوتوغرافية، وتذكارات. كانت أشياء صغيرة، لكنها مشبعة بالمعاني الشخصية والإرث الثقافي. واحدة تلو الأخرى، وضعنا هذه الأشياء في وسط دائرتنا، فشكّلنا نسيجاً غنياً بالألوان والأنسجة، كما لو أنّه مذبحاً جماعياً، جزء منه على هيئة سوق، وجزء منه مقبرة، وجزء منه مائدة مطبخ. وأثناء قيامنا بذلك، قدمت كل مشاركة نفسها من خلال ما تمثله القطعة التي أحضرتها، وفي أغلب الأحيان شاركت حكاية قصيرة عن والدتها أو جدتها.

"أنا ابنة امرأة لم تكن تعرف القراءة ولكنها كانت دائماً تنضح بالأفكار."

قالت ناي، وهي تحمل خيطاً من الكاكاو من أرض جدتها في البرازيل.

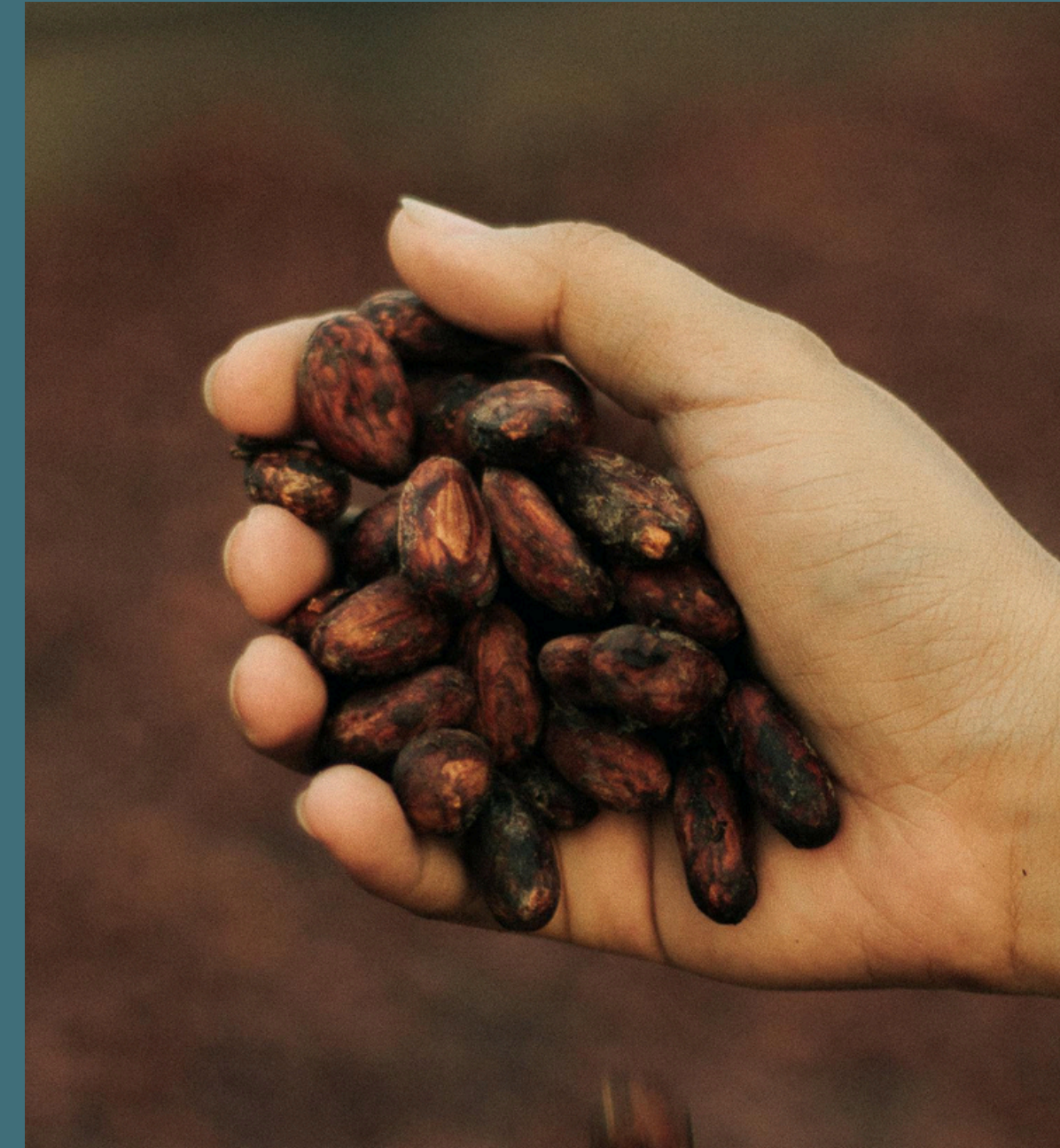
"أطلق عليّ أخي اسم فتاة أحبها ذات مرة، فلربّما جئت على خلفيّة قصة حب."

قالت منى من المغرب.

لم نكن نعرف ذلك بعد، لكن تلك اللحظة، وذلك القربان الأول سيصبح لاحقاً المركز المحوري للاجتماع بأكمله. ملأت القاعة رائحة المريمية والهيل، وامتزجت الدموع بالضحك حين رفعت إحداهن شالاً عتيقاً عزيزاً على قلبها، وقدمت أخرى كيس بذور من حديقة أمها. كان هذا الطقس الافتتاحي دعوة للامتنان والتضامن. فقد حملنا أمهاتنا معنا بالفعل، فجئنا بحكمتهن، وصمودهن، وذكرياتهن إلى هذا المكان وكرمناهن. أدت مشاركة هذه الأجزاء من حياتنا إلى كسر الحواجز بيننا على الفور. وعلى الرغم من أن الكثيرات منا التقين للتو، أصبحت الدائرة مكاناً يبعث على الثقة. استمعنا لبعضنا البعض عبر السماعات من خلال الترجمة الفورية باللغات العربية والإسبانية والبرتغالية. وربما ضاعت بعض الكلمات في الترجمة، لكن المشاعر والتضامن كانا واضحين بما يتجاوز حدود اللغة.

ومع تحدّث آخر امرأة، شعرت وكأن أمهاتنا وأسلافنا، وعلى الرغم من غيابهم/ن بالجسد، كنّ/كانوا جالسين/ات معنا، يهزون رؤوسهم/ن موافقين/ات على هذه الأختيّة التي تتجاوز الحدود.

لقد كان أسلوب اللقاء هذا المتحرّر من عقد الاستعمار والذي يعطي الأولوية لسرد القصص والطقوس والتجارب الملموسة هو النهج الذي حدد إيقاع الأيام التالية. وكانت مقارنة ميسّرتا الاجتماع بيرلا مارتينيز من المكسيك وكريستينا كغدو من سوريا، بعيدة عن أسلوب المحاضرات أو عروض "الباور بوينت". بل اعتمدتا الجلسات الحوارية والفن والحركة والتأمل الجماعي. وبفعل الرسومات والملصقات التي زينت الجدران (التي رسمتها المشاركات للتعبير عن رؤيتهن للحرية) والدوائر العديدة التي شكلناها (للحوار والرقص والتأمل) تحوّلت قاعة المؤتمرات العادية إلى ملاذ نسوي نابض بالحياة.



من الصعب وصف ما حدث في تلك الدائرة دون اللجوء إلى الاستعارة. ما حدث لم يكن مجرد طقس، بل كان إعادة نظر وتصفية حسابات سابقة. كان تفكيراً بطيئاً للشكليات التي حملناها معنا. فذابت بعدها صلابة أجسادنا وجمود مشاعرنا وشموخ وقفاتنا الرسمية والشعور الملحّ بضرورة الإنتاج. لم تكن المساحة التي أنشأناها احتفالية فقط، بل سياسية أيضاً. لأنّ تجمعنا كنسويات، متخطيات عوائق اللغات والجغرافيا والصدمات، والبدء بالتنفس بدلاً من وضع جدول أعمال، وسرد القصص بدلاً من التخطيط لاستراتيجية، هو رفض لمنطق النظام الأبوي. المنطق الذي يقول: أسرعوا/ن، أنتجوا/ن، لخصوا/ن، أصلحوا/ن.

لم نفعل أيّاً من ذلك. رقصنا. رسمنا. استلقينا على الأرض. ونعم، تحدثنا. سألنا: ما هو حلمك؟ ما هي رائحة الحرية في عالمك؟ من علمك عن جسدك؟ ومن سلبك تلك المعرفة؟ كانت هناك أوراق ضخمة ملصقة على الجدران، قد بدأت تمتلئ تدريجياً بالرسومات: أزهارٌ داميةٌ تنزف، وسلاسل مكسورة، وخرائط لبلدان خيالية حيث الإجهاض مجاني والفرح إلزامي.

رسمنا ظلال أجسادنا وملأناها برؤى عما تحمله أجسادنا، وما تتذكره، وما تتوق إلى التخلص منه. بكينا كثيراً. وضحكنا أكثر. خلال إحدى الاستراحات، وزعت أحداهن الشوكولا. وخلال استراحة أخرى، جلسنا في صمت نشاهد عاصفة تزحف عبر أفق ساو باولو. لم تكن هناك حلقات نقاش. لم يكن هناك متحدثات رئيسيات. فقط دوائر. دوائر صغيرة ودوائر كبيرة. دوائر حركة. دوائر قصص. دوائر شفاء. دوائر صراع. كان كلّ شيء دائرياً.

وفي عصر أحد الأيام، خرجنا معاً في جولة خاصة في المركز التاريخي لمدينة ساو باولو، برفقة ناشطات نسويات من أصول أفرو-برازيلية كمرشدات لنا. تحت المظلات والمطر الخفيف، جبنّا الشوارع نتعرف على تاريخ مقاومة المنحدرين/ات من أصل أفريقي في المدينة، وزرنا معالم نضال النساء السود وتحررهن. أيقظت هذه التجربة وعيّنّا، نحن غير البرازيليات، فقد رأينا كيف أن النضال ضد العنصرية والنضال من أجل العدالة الجندرية متلازمان لا ينفصلان.

توقفنا أمام نصب تذكاري يكرم النساء المستعبدات اللواتي تمردن، وقفنا صامتات ممسكات بأيدي بعضنا البعض. تأثرت كثيرات منا حدّ البكاء، وتأمّلن في كيف أن النضال من أجل الحرية كان دائماً عالمياً، فالاستعمار الذي طال أميركا اللاتينية والكاريبي، طال أيضاً منطقة جنوب شرق آسيا وشمال أفريقيا، ونفس الأنظمة الرأسمالية والعنصرية التي قهرت الناس في منطقة ما، كان يتردّد صداها في منطقة أخرى. لقد جعلتنا هذه الجولة نربط نقاشاتنا بسياق حي وملموس في ساو باولو، وذكرّتنا بأن تضامننا النسوي يجب أن يكون تقاطعياً، شاملاً العدالة العرقية، والعدالة الاقتصادية، والعدالة المناخية.

حتى فترات استراحتنا وأمسياتنا أصبحت فرصاً لتعميق الروابط، ولم يغيب موضوع المقاومة عن أذهاننا أبداً. تشاركنا وجبات خفيفة حارة من الأردن، وحلويات من غواتيمالا، وقهوة برازيلية قوية خلال محادثات عفوية غالباً ما تحولت إلى جلسات عصف ذهني أو قصص مرتجلة. أتذكر محادثة أثناء الإفطار لم تغب عن ذهني منذ ذلك الحين.





كانت هناك أمسيات رفعنا فيها صوت الموسيقى، ورقصنا الدبكة والسالسا والسامبا بالتناوب. انطلقت الضحكات بينما كنا نجرب خطوات رقص بعضنا البعض ونعلم بعضنا كلمات الأغاني باللغة العربية أو الإسبانية. جلسنا على أسرة الفندق نتبادل قصصاً عن بناتنا، وعشاقنا السابقين، وقضايانا في المحاكم، ومعجزاتنا. في تلك اللحظات المرحّة، تلاشت حواجز اللغة والاختلافات الثقافية. كنا ببساطة مجموعة من النساء نحتفل بالحياة والأختيّة. لم تكن هذه التجارب غير الرسمية لتقوية الروابط مجرد وسائل ترفيهية ممتعة، بل كانت جزءاً لا يتجزأ من بناء الثقة والتضامن. لم تكن هذه تجارب تشتت الانتباه عن "العمل الحقيقي"، بل كانت هي العمل نفسه. ذلك النوع من العمل النسوي الذي يرفض التجزئة، ويحمل العاطفي والسياسي والروحي والجسدي الحميم كأجزاء من كيان واحد. كما قالت إحدى المشاركات في اليوم التالي.

"جئت إلى هنا وأنا أشعر بثقل المسؤولية. ولكن بعد الرقص والضحك معن جميعاً، أشعر بخفة. أشعر أننا جميعاً نحمل العبء الآن، معاً."

في الواقع، لقد غدّى اجتماع ساو باولو أرواحنا، وأعطانا لمحة عن العالم المتحرر الذي نناضل من أجله. عالم يكون فيه التضامن النسوي مصدراً للقوة والشفاء والفرح.

كنت جالسة مع سلمى من فلسطين وحياة من لبنان، فكان من الطبيعي أن تصبح الطاولة طاولةً ناطقة باللغة العربية، إلى أن انضمت إلينا نات من البرازيل عن قصد. كانت تسعى إلى الخروج من منطقة راحتها ومواجهة حاجز اللغة الذي قد يعيق تواصلنا. أنا سعيدة جداً لأنها فعلت ذلك. كانت سلمى ترتدي ما تبين أنه موضوع رائع لبدء المحادثة. دبوس على قميصها كان جذاباً للغاية، لدرجة أننا لم نستطع تجاهله. كان رمزاً مميزاً وذا صلة وثيقة بالمقاومة. نتج عن ذلك محادثة عابرة للقارات حول المقاومة المسلحة بمساعدة الذكاء الاصطناعي.

وحتى من دون تطبيق الترجمة، كان بإمكاننا أن ندرك مدى شغف نات في التعبير عن تضامنها مع المقاومة الفلسطينية المسلحة، وربطها بحقيقتها المعاشة كبرازيلية من أصل إفريقي تنتمي إلى حركة تحرير كانت تقدر أيضاً حقها الأساسي في مواجهة القمع الممنهج والوحشي بواسطة المقاومة المسلحة.

تحدثنا عن آليات تفوق العرق الأبيض، مثل الصهيونية والاستعمار والعبودية، واتفقنا جميعاً على أن سلمى يجب أن ترسل لكل واحد منا دبوساً مثل دبوسها.

دبوس يمكننا ارتداؤه بفخر في مدننا الأصلية للتعبير عن تضامنا مع المقاومة الفلسطينية المسلحة

الشخصي هو سياسي كمفهوم "عابر للقارات"

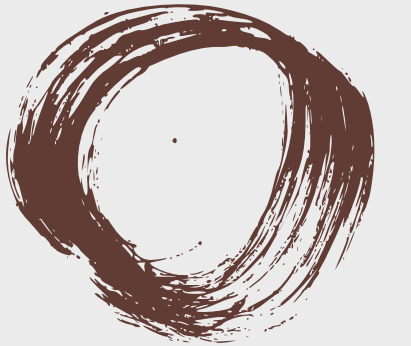
**قالت لي: "يقولون إننا غير صالحات
لأننا نقاوم. يقولون إننا غير متزنات لأننا
نشعر"**

في تلك اللحظة، لم يعد الأمر شخصياً فحسب، بل أصبح عابراً للقارات. اكتشفنا أن قصصنا، رغم أنها متجذرة في بيئات مختلفة تماماً، تشترك في نفس البنية. لقد عوقبنا لأننا اخترنا أنفسنا. لقد عوقبنا لأننا أطلقنا اسماً على العنف. لقد عوقبنا لأننا أمهات بشكل مختلف، ليس كمنصاعات للسلطة الأبوية، بل كمناوئات لها.

انضمت نساء أخريات إلى المحادثة. تحدثت شابة من منطقة جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا بصعوبة عن محاولتها الحصول على وسائل منع الحمل كطالبة غير متزوجة. في الجانب الآخر من الغرفة، أجهشت امرأة من أميركا اللاتينية والكاريبية في البكاء. قالت: "كان من الممكن أن أكون أنا". "لقد كنت أنا."

اكتسب الشعار النسوي الشهير "الشخصي سياسي" بعداً جديداً في ساو باولو. بعض القصص لا يمكن ترجمتها على شكل نقاط محددة، بل تصلك في ارتعاش الصوت، أو في نظرات متبادلة عبر الغرفة، أو في انسياب مفاجئ لدموع لم تكن تتوقع أن تذرفها. هكذا كان الحال في اليوم الثالث. أمضينا الأيام الأولى في تسمية الأنظمة والقوانين والمهن والاقتصادات وكل القوى الخارجية التي تشكل حياتنا. لكن في هذه الجلسة، تحول التركيز نحو الداخل، وشعرت بغصة مألوفة في حلقي. بالنسبة لي، الشخصي والسياسي ليسا متشابكين فحسب، بل لا يمكن تمييزهما. وصلت إلى ساو باولو وما زلت تحت وطأة معركة لم أخترها بل أجبرت عليها: معركة من أجل ابنتي، من أجل كرامتي، من أجل سلامتي العقلية، خضتها ضد نظام قضائي طائفي في لبنان حمى المعتدي عليّ وعاقبني على نجاتي. قضيت عشرة أيام في السجن، ليس لأنني أذيت أحداً، بل لأنني حاولت حماية طفلي من أب رفض النظام محاسبته. تم إسكاتي ومراقبتي والتلاعب بي. لم أكن مجرد امرأة في المحكمة، كنت أمّا جرّمت بسبب رعايتي لطفلي. ومع ذلك، كنت لا أزال أوّمن بقوة التضامن النسوي، وبإمكانية أن يكون هناك إمراة ما في مكان ما عبر المحيط قادرة على فهمي.

في تلك الدائرة، قابلتها. كانت من غواتيمالا. هي أيضاً فقدت حضانة طفلتها بسبب رجل عنيف. هي أيضاً وُصفت بأنها غير متزنة، عاطفية أكثر من المفترض، "مبالغة". وعندما تحدثنا، ليس عبر الميكروفون، بل جالستين جنباً إلى جنب على الأرض، لم نحتج إلى شرح. كنا نعرف.



فكرت في نوال السعداوي، التي كتبت حقيقة ختانها في الأدب النسوي العالمي. فكرت في بيرتا كاسيريس، التي قُتلت بسبب دفاعها عن أرضها وشعبها في هندوراس. فكرت في ليلي خالد، التي حملت البندقية للدفاع عن القضية في فلسطين. فكرت في مني الطحاوي، وريغوبرتا مينشو، وغلوريا أنزالدوا، فجميعهن حملن جرحاً شخصياً أصبح سلاحاً سياسياً. لم تدخل هؤلاء النساء التاريخ بدعوة، بل اقترحنه لأن الصمت لم يعد خياراً لهن، لأن محتتهن الشخصية لا يمكن ولا يجب فصلها عن مشهدنا السياسي. لم آتِ إلى ساو باولو لكي يُسمع صوتي. جئت لأنني أردت أن أتذكر كيف كان الشعور بأن يصدقني أحد. وقد صدقني أحد. ليس لأن قصتي كانت استثنائية، بل لأنها لم تكن كذلك. هناك شيء يبعث على التحرر العميق في إدراك أن صدمتك ليست فريدة. هذا لا يجعل الأمر أسهل. لكنه يجعله سياسياً. يجعل فعل المقاومة قابلاً للتنفيذ. هذا يعني أننا عندما نتحدث، سواء في دائرة، أو قاعة محكمة، أو مظاهرة، فإننا نتحدث نيابة عن أكثر من أنفسنا.

تعاهدنا في ذلك اليوم أن نحمل قصص بعضنا البعض إلى الواجهة. أن نتحدث عن السلفادور في لبنان. أن نتحدث عن غزة في المكسيك. ألا تشعر واحدة منا أنها وحيدة في نضالها مرة أخرى. لأنه عندما يصبح الشخصي سياسياً، ثم يصبح عابراً للقارات، فإنه يتحول إلى إرث، واستراتيجية،

وكرة نار ملتهبة.



عبر الأجيال وعبر القارات حوار بين نادية وأليس

هناك لحظة في ساو باولو أستذكرها كثيراً ليس لأنها كانت رائعة أو درامية، ولكن لأنها قدمت لي نوعاً من الوضوح والسكينة اللذين لم أكن أعلم أنني أحتهما. جلستُ مقابل شابة نسوية من الباراغواي، تبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً فقط. دُعيْنَا إلى محادثة حول النسوية عبر الأجيال، ولكن ما حدث بدا أشبه بتبادل حميم بين امرأتين تحاولان الالتقاء عبر الزمن.

"أريد أن أسمع منك"، قلت لها بصراحة. "هناك فارق خمسة عشر عاماً بيننا. وبعد جيلك يأتي جيل ابنتي. لذا أريد أن أعرف ما هي رؤيتك؟ ماذا تحتاجين؟ ماذا تريدين من نسويتك مما لم تدركه نسويتي بعد؟"

كان ردّها حذراً في البداية، ولكن سرعان ما انطلقت كلماتها. تحدثت عن "المركزية العمرية"، وهي كلمة لم أكن قد سمعتها من قبل ولكنني أدركت معناها على الفور، وهي الإسكات الهيكلي لمعرفة الشباب وقدرتهم/ن على الفعل. قالت إنهن في منظماتها يعملن على تسمية هذه الديناميكية وتفكيكها. أخبرتني عن النسويات الأكبر سناً في حركتها اللواتي ما زلن يعتقدن أن الحكمة تأتي مع التقدم في العمر، في حين أن الأصغر سناً يتّقدن برؤى غالباً ما تُرفض لاعتبارها ساذجة. أخبرتها أن الوضع في منطقتي مشابه إلى حد كبير، ففي منطقة جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، لا تزال السلطة السياسية في أيدي كبار السن، غالباً من الذكور، ولطالما فسّر تمرد الشباب خطأً على أنه عدم احترام عوضاً عن تقدير جموح الخيال.

ثم قالت شيئاً بقي عالقاً في ذهني:
"أحياناً أشعر بالعجز. ليس لأنني كسولة، ولكن لأنني لا أعرف ما إذا كان مستقبلي سيأتي أصلاً."





أخبرتني أنها تحلم بعالم يمكنها أن تعيش فيه دون الشعور بالذنب لقرارها بعدم إنجاب أطفال. عالم تكون فيه الأماكن العامة آمنة ومبهجة. عالم لا يُجرّم الحب المثلي ولا تبقى العدالة الاقتصادية فيه خيالاً. تريد نسوية تركز على الشفاء، ليس النوع الذي تروج له الرأسمالية، بل النوع الجماعي الذي يضمن لها أن تكون مرئية ومحبوبة من قبل المجتمع. أخبرتها أنني أريد ذلك أيضاً. أن رؤيتنا ربما ليستا متباعدتين كثيراً. واتفقنا على التالي: الرأسمالية هي عدو النسوية. إنها تعزلنا، تستغل عملنا وحبنا، تعاقب الرعاية وتكافئ الاستغلال. وما لم نواجهها (لا أن نكتفي بتسميتها فحسب، بل نمزقها فعلياً)، فسيظل مستقبلنا النسوي استعراضياً ومجتزأً.

ذكرتني هذه المحادثة بأن المشروع النسوي بين بلدان الجنوب لا يقتصر على عبور الحدود، بل يشتمل كذلك على عبور الزمن. في نهاية المحادثة، لم نكن نخطط لاستراتيجية خمسية، بل صنعنا ما هو أكثر نعومة وطراوة: وعداً مشتركاً أنني سأفصح المجال، وأنها لن ترث صمتنا. أننا سنتعلم من بعضنا البعض، ليس على الرغم من السنوات التي تفصل بيننا، بل بفضلها. في عينيها رأيت المستقبل، وفي عيني رأيت جسراً. وفي ذلك التبادل، لم تكن النسوية عبر الأجيال مجرد فكرة. كانت رابطاً وطيداً ينبض بالحياة.

لم تكن أليس تبالغ. وصفت جيلاً نشأ دون الحصول على الرعاية الصحية، أو الوظائف، أو الأرض، أو اليقين. في حين أن الأجيال الأكبر سناً تمتلك منازل ومعاشات تقاعدية، فإن جيلها يحيا منتظراً راتب نهاية الشهر في وظائف مؤقتة وغير مستقرة. قالت إن نسويتها لم تتشكل فقط بسبب الظلم الجنساني، بل بسبب انهيار المناخ، واضطرابات الرأسمالية، وبسبب عالم أصبحت فيه الأساسيات، الماء، والأمان، والهواء، في تناقص مستمر. سمعتها وصدقها، ورأيت فيها أكثر من انعكاس لمستقبل ابنتي، بدت لي كمرآة تعكس ماضي أنا.

تذكرت عندما كنت في العشرينات من عمري وأنا أسير في شوارع القاهرة في العام 2011، وأصرخ حتى فقدت صوتي خلال ما أطلقنا عليه اسم "الربيع العربي". تذكرت كيف استخف بنا كبارنا آنذاك أيضاً، ووصفونا بأننا مندفعات وعاطفيات وغير عمليات. أخبرتها كيف قيل لنا إننا بحاجة إلى مزيد من الوقت ومزيد من التدريب ومزيد من النضج. لكننا لم نكن بحاجة إلى مزيد من التدريب، كنا بحاجة إلى أن يثقوا بنا، وأن يستمعوا إلينا.

ما توصلنا إليه رويداً رويداً، هو أن النسوية لا يمكن أن تكون أفقيّة، بل يجب أن تكون دائرية، متعددة الأجيال، ومتعددة الأصوات. لا يمكن أن تكتمل نسويتي ما لم تفسح المجال لنسويتها. ولن تزدهر نسويتها ما لم تحترم ما سبقها.

المبادئ بالممارسة تضامن نسوي مناهض للاستعمار



على صُعد مختلفة، كان هذا اللقاء تجسيداً حياً للمبادئ المناهضة للاستعمار التي نؤمن بها كنسويات. لكننا هنا لم نكتفِ بتسمية تلك القيم، بل مارسناها. وبذلك، تذكرنا أن لا فائدة في نظرية ما لم تتجسد واقعاً.

مارسنا الرعاية الجماعية. لم يعنِ ذلك المثاليّة أو الانسجام التام، بل عنى شيئاً كالاطمئنان على من تغادر الغرفة. عنى توقف المترجمات عندما تحتاج أحدهن إلى استراحة. عنى البدء متأخرات ليتسنّى لنا البكاء معاً. عنى أن تجلب إحداً كوباً آخر من الشاي للأخرى بهدوء. لم تكن الرعاية مدرجة على جدول الأعمال، بل كانت تغمر الأجواء. أتذكر أن أحدهن قالت: **"هذا المكان يُشعّرنِي بالقدرة على التنفس من كامل أعماقي."**

مارسنا مناهضة التمييز ضدّ ذوات الإعاقة. تم ترتيب الغرفة بحيث لا يتم استبعاد أحد. جلست المشاركات على الكراسي وعلى الوسائد وعلى الأرض. لم يكن هناك صفوف أمامية ولا خلفية. كانت الترجمة متاحة بعدة لغات، ليس كفكرة ثانوية بل كميزة أساسية. مارسنا العدالة اللغوية. العربية، والإسبانية، والبرتغالية، والفرنسية، والإنكليزية، كانت دائرتنا متعددة اللغات، فوضوية، وجميلة الطبقات. لم نطلب الطلاقة، أبطأنا الإيقاع، استخدمنا الإيماءات، وضحكنا. ترجمنا ليس فقط الكلمات، بل المعاني. وعندما لم تسعفنا الكلمات، لجأنا إلى الفن والحركة والاستعارة. لم يكن الأمر مثالياً، ولكن عندما لم ينجح شيء ما، تكيفنا، وسألنا، واستمعنا، وأفسحنا المجال.

مارسنا مناهضة الاستعمار ليس كخطاب، بل كطقس. افتتحنا اللقاء بهدايا من أراضيها، وركزنا على معرفة الشعوب الأصلية. استمعنا إلى النسويات الأفرو-برازيليات اللواتي اصطحبنا في جولة عبر تاريخ المدينة المكبوت. احترمنا حقيقة أن مجرد الاجتماع بين الجنوب والجنوب، دون وسيط من الشمال، كان بحد ذاته خرقاً للنظام السائد. رفضنا النزعة الاستخراجية. لم يكن هناك مقيمون خارجيون في الغرفة، ولا من يأخذ منا ليكتب عنا. قمنا بتوثيق تعلمنا بأنفسنا، فقمنا بالرسم والتسجيل والتأمل معاً. لم تكن تجاربنا مجرد بيانات، بل كانت بذوراً للنمو المستقبلي. غادرنا مع رسومات وملاحظات وقصائد ومحادثات على تطبيق الواتساب، وقررنا ما هي القصص التي سنرويها وكيف سنرويها.

وربما كان أقوى ما قمنا به هو أننا: مارسنا الإبداع النسوي. ليس إثارةً لإعجاب أحد، بل بهدف التخيل. تذكرنا أن المستقبل لا يُبنى فقط عبر الاستراتيجيات، بل يُحلم به من خلال الإبداع. ومع نهاية الاجتماع، لم نتحدث فقط عن هذه المبادئ، كنّا قد عشناها. غادرنا ونحن نعلم أن المبادئ النسوية ليست قائمة مرجعية. إنها ذاكرة عضلية، إنها ممارسة، ويجب أن نستمر في ممارستها معاً.

نحن نرسم الخرائط

حان وقت الحلم، ليس بشكل مجرد، بل باتجاه محدد. سُئِلنا: **"بعد هذا التجمع، كيف سيبدو التضامن النسوي العابر للأقاليم في الممارسة العملية؟"**

ليس الآن في ساو باولو وحسب، بل في الشهر المقبل، وفي العام المقبل. في بيروت وأوكساكا، في رام الله وأسونسيون. وليس فقط في أوقات الأزمات، بل خلال العمل الطويل والهادئ على البناء. بدأنا برسم الخرائط. رسمت بعضهن خرائط فعلية، بخطوط تربط المدن، وأنهار تتدفق عبر مساحات الحركة. ورسمت أخريات خارطة للجسد، رسمن الأرحام كأراض بلا حدود، والأأيادي كجسور، والألسن كممرات عبور للترجمة. وبعضهن كتبن ببساطة عبارات "رعاية، وتحرير، والجندات الأوائل، والاختراق، والأرض، والمتعة، ولا مزيد من الصمت"، كلُّ بلغتها.

استلهمنا من مشاريع مثل "بورتال كاتاريناس" في البرازيل التي ترفع من شأن الصحافة النسوية، ومحفوظات "دولتي" للتاريخ الشفوي في سوريا، التي تحافظ على أصوات النساء المتضررات من الحرب، ومشروع "ريد دي سانادوراس" في بوليفيا، الذي يدمج الشفاء المجتمعي ورواية القصص كأعمال مقاومة. كما أشرنا إلى بيان الإنترنت النسوي، وأعدنا تخيُّله وفق سياقاتنا الخاصة، حيث لم يكن الاستعمار مجازاً بل واقعاً مُعاشاً، وحيث غالباً ما تبدأ المقاومة الرقمية بنص ثوري أساسي يُبَث عبر تطبيقات المراسلة.



وبينما كنا نرسم الخريطة، تبلورت بعض الأفكار، ليس كأطر ثابتة، بل كمسارات تستحق أن تُسلك: تخيلنا مختبراً نسوياً للتكنولوجيا، بقيادة نساء من كلا المنطقتين، والهدف منه بناء أدوات رقمية للأمان تساعد في التنظيم تحت المراقبة. وفكّرنا في منصة لتبادل التكتيكات، وكيفية استخدام التطبيقات المشفرة في الأنظمة الاستبدادية، وكيفية إدارة ورش عمل افتراضية حول الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية في مناطق النزاع، وكيفية أرشفة الشهادات دون المخاطرة بالأرواح. تصورنا منصة نسوية آمنة ومتعددة اللغات يتم إنشاؤها بالاشتراك بين نسويات أميركا اللاتينية والكاريبي ومنطقة جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، وهي ليست مجرد موقع إلكتروني، بل أرشيف حي. تخيلي تحميل مجلة من بوليفيا وتجدينها بجانب هتافات من لبنان، أو دليل علاجي من غزة بجانب ممارسات التوليد التقليدية للسكان الأصليين في غواتيمالا.

تخيلت أخريات روبوت محادثة ذكي غير استعماري، لم يتم تدريبه على قواعد بيانات وادي السيليكون، بل على الحقائق المعاشة والمعرفة الموروثة للنسويات من الجنوب. رفيقة رقمية يمكنها الإجابة على أسئلة حول الإجهاد الآمن، وتقديم نصائح للعناية بالصدمات النفسية، وإرشاد للمنظمات الشابات في الدول القمعية، كل ذلك مع احترام الخصوصية، ورفض المراقبة، والتركيز على العدالة اللغوية.

قالت أحدهن: "هذا الذكاء الاصطناعي لن يقدم لك إحصائيات غربية". "بل سيقدم لك حكمة جدتك وشجاعة أختك". لم يكن الهدف هو اللحاق بركب التكنولوجيا الغربية، بل بناء تكنولوجيا تخصنا نحن.

أجمعنا على الحاجة إلى صندوق تضامن، صندوق لا يحكمه الشمال العالمي، بل نحن. صندوق يفهم المرونة والضرورة الملحة والتقاطعية. صندوق يؤمن بالمنح الصغيرة، والجداول الزمنية الطويلة، والأحلام التي لا تأتي مع أطر عمل منطقية جامدة. تخيلنا اجتماعات سنوية مثل هذا الاجتماع، تستضيفها مجموعات مختلفة، وتُعقد في بلدان مختلفة. ليس بهدف التوسّع الكميّ، بل التعمّق النوعي. والأهم من ذلك، أننا سنفعل كل هذا معاً، ليس كمشاريع منعزلة، بل كتجارب في التحرر الجماعي. بدون مواعيد نهائية، بدون متبرعين يُملون النتائج. فقط قيم مشتركة، وثقة متبادلة، ومساحة كافية للحلم.

تحدثنا عن تبادلات نسوية بين المدن الشقيقة، تربط بيروت ببوغوتا، وغزة بميدلين، وتونس بتيخوانا، حيث يمكن للمجموعات استضافة بعضها البعض، والتعلم من بعضها البعض، وتقاسم الخبز، وبناء الثقة. ليس كجولات دراسية للمانحين، بل كإقامات متبادلة للمقاومة. حلمنا بمناهج نسوية مشتركة، متجذرة في الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية المناهضة للاستعمار، مكتوبة باللغات العربية والإسبانية والبرتغالية واللغات الأصلية، لا للحصول على درجات جامعية، بل دعماً للحياة. وحدات دراسية مستمدة من النظرية النسوية الفلسطينية، وممارسات الولادة الأفرو-لاتينية، وشبكات الناجيات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، واستراتيجيات التعبئة التي تتبعها الموجهة الخضراء. منهج حي من تأليفنا جميعاً. تحدثنا عن بودكاست نسوي جنوبي-جنوبي، مع مقدمات متناوبات عبر المناطق، صوت متنقل يجمع بين التاريخ الشفوي، والقصائد، والتأملات، والموسيقى، والتحليل السياسي، والأسئلة. جسر صوتي





اختتمنا اجتماعنا كما بدأناه: في دائرة. بدون منصة، بدون تصفيق. مجرد نساء جالسات جنباً إلى جنب، عيونهن تلمع من الإرهاق. إرهاق من نوع آخر، نوع لا يحصل إلا بعد أن يُستنزف المرء من قول الحقيقة على مدى أيام متتالية. وكخاتمة شعريّة لتضامننا، حدث أمرٌ حزين كان له وقعٌ سحري. أبلغت إحداهن المجموعة عن إعلان استشهاد مقاوم فلسطيني بارز. خبرٌ هزّ كيان العديد من النساء العربيات وأدخلهن في حالة حداد عميق ومؤثر. وفي لفظة تضامن حقيقي، قدمت لنا أخواتنا من أميركا اللاتينية والكاريبي مساحة للحزن، بل وحزنٌ معنا. شاركت العديد منهن دموعنا وعرضن جميعهن احتضان كل واحدة منا في عناق طويل. بدأت مراسم عزاء عفوية بالتشكل، وفي لحظة ما، انطلقت بعفويّة هتافات تحرر قويّة ومؤثرة من أخواتنا اللاتينيات، مُهداة لنا وللمقاومة التي نمثلها. كانت لحظة مؤثرة وملأى بالمشاعر إلى حد جعلني عاجزة عن الكلام وأنا أحضن أختاً جديدة، والدموع تنهمر بهدوء على وجنتي. لقد وُلد التضامن.

انتهى اجتماع ساو باولو بعد ظهر ذلك اليوم، لكن الزوبعة التي أثارها لم تنته. لأننا لم نجتمع لكتابة تقرير. اجتمعنا لزرع بذور حركة. والحركات لا تُبنى في البيانات الختامية، بل تُبنى بواسطة رسائل صوتية مرسلة عبر الدول المتباعدة زمنياً. وبواسطة المساعدة المتبادلة عندما تكون أخت في خطر. وبواسطة المنشورات المشتركة،

والاحتجاجات المشتركة، والنفس المشترك. في قرار رفع سماعة الهاتف عندما تغيب إحداهن عن السمع. وفي رفض تحويل قصة أي امرأة إلى مجرد أمر هامشي.

عدنا إلى المذبح الذي بنيناه في اليوم الأول، وقد أصبح الآن يفيض بالذكريات والملاحظات والرسومات وأجزاء من حياتنا المشتركة. جمعنا أغراضنا. التوابل والرسومات والملاحظات المكتوبة على المناديل. لكننا تركنا أيضاً وراءنا أشياء أخرى: الأعباء، والعار، والمثالية المفرطة، والوحدة. لم نحلّ أي شيء. لكننا تذكّرنا. أن أجسادنا مقدسة. وأن أصواتنا متعددة. وأن الطقوس النسوية ليست انحرافاً عن الاستراتيجية، إنها الطريقة التي نبدأ عبرها في الحلم باستراتيجية مختلفة.

من لقاء إلى حركة





غادرنا ساو باولو بمجموعة من الالتزامات الحية، وليس توصيات سياسية.

التزمنا بتمركز معرفتنا، بالتوثيق بأصواتنا، بلغاتنا، باستخدام استعاراتنا. بمقاومة النزعة الاستخراجية حتى في مجال السرد.

التزمنا بإيجاد لحظات من المقاومة المشتركة، مثل اليوم العالمي للنساء أو حملة الـ16 يوماً لمناهضة العنف ضد النساء، وتحويلها إلى منصات للعمل النسوي الموحد.

كما التزمنا بالتعلم المتبادل. تبادل الخبرات بين العاملات في مجال الصحة، ومربيات الشابات والشبان، والناشطات، والفنانات.

التزمنا بالمطالبة بالمزيد من حلفائنا، بما في ذلك المنظمات غير الحكومية الدولية والمانحين.

لم نطلب الصدقة، بل الثقة. لم نطلب الإنقاذ، بل التضامن. طالبنا بتمويل مرن، وحوكمة نسوية، وموارد تتماشى مع أولوياتنا، وليس العكس.

التزمنا بتوسيع دائرتنا، لإفساح المجال للنسويات من أصل إفريقي، والمدافعات عن أراضي السكان الأصليين، والنساء المثليات، والعاملات المنزليات، واللاجئات، والفتيات. لجعل هذه الحركة واسعة وعميقة مثل العالم الذي نناضل من أجله.

وربما كان الجزء الأكثر جموحاً هو تخيلنا أننا سنستمر في دعم بعضنا البعض، مطمئنان لوجود من تهمس عبر المحيط قائلة: أنتِ لست وحدكِ.

حملنا أمهاتنا.

حملنا بعضنا البعض.

والآن،
ندفع بالحركة
نحو الأمام!





تصميم: آمنة مروّة



@Femalecomms